قِصةُ جَمْع

القُرآن الكَريم

إعداد:

أُسامة شحادة

الموقع الشخصي: Osamashahade.com

تمهيد

قال الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[البقرة، ١٨٥]؛ ولذلك فإن الانشغال بتلاوة القرآن الكريم وتدبره في رمضان من أجلِّ الطاعات وأشرفها، بل كان هذا هو حال النبي ﷺ وجبريل عليه السلام في كل رمضان.

ومما يفرح القلب: امتلاء المساجد والمنازل بالتالين لكتاب الله ﷻ، وتسابق المؤسسات والهيئات الإعلامية على خدمة كتاب الله ﷻ؛ ببث تلاوات القراء المتميزين، وبرامج التفسير والتدبر، ومسابقات حفظ القرآن، وغيرها من الفعاليات الرائعة.

ومساهمةً في تدبر وتعظيم القرآن الكريم: نذكِّر بقصة جمع القرآن الكريم في كتاب واحد، كجزء من وعد الله ﷻ بحفظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر، ٩]، وفي الحديث الذي رواه مسلم: أن النبي ﷺ قال: «**إن ربي قال لي: إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظاناً**»، وهو الأمر الذي أغاظ أعداء الإسلام؛ فحاولوا التشكيك في صحة القرآن الكريم ببعض الشبهات الساقطة، والتي فندها العلماء والباحثون، بعد أن فشلوا في الطعن على القرآن الكريم وما فيه من أخبار وأحكام وعقائد، والتي لا تزال الأيام تبين وتكشف عن أسرار القرآن وكنوزه؛ التي تُعجز العقول وتبهر الألباب!

ومعرفة حقائق جمع القرآن الكريم أمر مهم؛ لما يرسخه في القلب من تعظيم وهيبة لكتاب الله ﷻ، وأنه لقي كل عناية واهتمام من اللحظة الأولى من قبل النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، ويكشف عن

جانب مشرق في فضائل الصحابة ﷺ؛ مما استحقوا به المكانة السامقة.

حفظ القرآن الكريم يعتمد في الأساس على: حفظه في الصدور وليس في السطور؛ كحال الحضارات الشفوية عبر التاريخ، والتي تميز العرب بينهم بدقة الحفظ وكثرته، ولا تزال ملكة الحفظ القوية في المسلمين لليوم، والدليل: ملايين حفظة القرآن المجيد في العالم من كل الأجناس والشعوب، وأما الشناقطة من موريتانيا فهم نموذج الحفظ الواسع والمتين.

قصة جمع القرآن الكريم مرت بثلاث مراحل زمنية:

الأولى: في العهد النبوي.

والثانية: زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والثالثة: في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وسأعتمد بشكل أساسي على كتاب «جهود الصحابة في جمع القرآن، دراسة تحليلية» للأستاذ أحمد سالم:

العهد النبوي

لما أذن الله ﷻ ببداية البعثة المحمدية أنزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى السماء الدنيا، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر، ١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ".

والحكمة من نزول القرآن الكريم مفرقاً بحسب الأحداث والوقائع هي: تثبيت قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين فيما يلاقون من تحديات وعقبات، ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[الفرقان، ٣٢].

أيضاً من حكمة نزول القرآن مفرقاً منجماً: تسهيل حفظه، والتدرج في التشريع؛ حتى يطيق الناس الالتزام به، والانتقال عن جاهليتهم، وشرحت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك فيما رواه البخاري أنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار؛ حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر! لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا! لقالوا: لا ندع الزنى".

وبسبب هذا النزول المستمر للوحي الإلهي بالقرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام؛ الذي يسمع الوحي والقرآن الكريم من رب العزة ﷻ، ثم ينزل به على النبي ﷺ، واستمرار نزول القرآن طيلة البعثة المحمدية (٢٣ عاماً)؛ لم يكن ممكناً جمع القرآن في كتاب بين دفتين.

ولكن هذا لا يعني: أن القرآن لم يكن مجموعاً في عهد النبي ﷺ، وهذا ما سنوضحه في النقاط التالية:

١- **كان النبي ﷺ يدارس جبريل عليه السلام القرآن الكريم في شهر رمضان من كل عام**، ودارسه القرآن مرتين في سنته الأخيرة التي توفي فيها، وهذا يؤكد لنا شدة عناية النبي ﷺ بمدارسة القرآن الكريم، فعن فاطمة رضي الله عنها قالت: أَسرَّ إلي رسول الله ﷺ: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين**». رواه البخاري.

وفي هذا أن العناية بالقرآن كانت قضية محورية ومركزية في حياة النبي ﷺ، ولم تكن قضية هامشية أو قليلة الأهمية أو الأولوية، كما يزعم بعض المستشرقين وأذنابهم!

٢- **كان الصحابة رضي الله عنهم يحفظون من القرآن الكريم**، ومنهم من يحفظ القرآن كاملاً، ويعرفون باسم: (القراء)، ومما يدل على كثرتهم: أنه قتل منهم في بعض المعارك أكثر من (٧٠) حافظاً في معركة واحدة!!

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعتنون بدقة حفظهم للقرآن الكريم؛ ففي «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان، فإذا هو يقرأها على غير ما أقرأنيها رسول الله ﷺ! -وكان هشام يصلي ويقرأ-، قال عمر: فكدت أساوره في الصلاة! فانتظرته حتى سلم فلببته بردائه، وانطلقت به أجره إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما

أقرأتني؟! فقال الرسول ﷺ: «**أرسله يا عمر! اقرأ يا هشام**»؛ فقرأ هشام، فقال النبي ﷺ: «**هكذا أُنزلت**»، وقرأ عمر؛ فقال: «**هكذا أُنزلت، إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف**».

ونلاحظ هنا: أن الرسول ﷺ هو من يتولى تعليم الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم بنفسه، وهو من يفصل في دقة حفظهم وسلامة نقلهم.

٣- كان النبي ﷺ قد خصص له مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم يكتبون ما ينزل من القرآن الكريم، أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تكتبوا عني! ومن كتب غير القرآن فليمْحه**».

وعرف هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم باسم: (كتبة الوحي)، وأقل عدد لهم أورده المحققون هو: (١٣) رجلاً، منهم: الخلفاء الأربعة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان.

وكتابة القرآن الكريم بدأت من العهد المكي، ومما يستأنس به من أدلة ذلك: قصة إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقراءته لسورة (طه) من صحيفة مع أخته فاطمة وزوجها زيد رضي الله عنهما، وإن كان بعض المحدثين يضعف سند القصة.

وكان النبي ﷺ يشرف عليهم، ويأمرهم بضم الآيات في السورة الواحدة لبعضها البعض؛ مع ترتيب الآيات في السور، فعن عثمان بن أَبي العاص، قال: كنت جالساً عند رسول اللَّه ﷺ إذ شخص ببصره، ثم قال: «**أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة:** ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى﴾[النَّحْل، ٩٠]..» إِلَى آخِرِهَا. رواه أحمد.

يقول القسطلاني: «وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده ﷺ، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور»؛ وذلك بسبب تنوع المادة التي كتب عليها القرآن الكريم، بحسب مقدرات ذاك العصر؛ والتي تنوعت بين رقاع الجلد، ولحف النخل، والعظام، والحجارة، والخشب.

٤- في آخر سنة من حياة النبي ﷺ دارس النبي جبريل عليه السلام القرآن مرتين، وبعدها قام النبي ﷺ بمدارسة بعض الصحابة رضي الله عنهم من كتبة الوحي القرآن الكريم كله، وسميت هذه المدارسة بـ (العرضة الأخيرة)، ومن هؤلاء الصحابة: عبد الله بن مسعود وزيد بن حارثة رضي الله عنهما.

وهكذا يتبين لنا: أن القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ جمعته صدور الصحابة رضي الله عنهم، وجمع مكتوباً كله؛ ولكن ليس على شكل كتاب، وهذا من حفظ الله لكتابه الخاتم، وهذا ما تميز به القرآن على سائر الكتب أنه: جُمع في حياة النبي ﷺ، في الصدور والسطور، بخلاف غيره من الكتب التي لم تدون إلا بعد قرون متطاولة، أو لم يتسن حفظها من قبل صدور المؤمنين به، ولذلك طالها التحريف والتبديل والضياع!

عهد أبي بكر الصديق ﷺ

بعد وفاة النبي ﷺ وتولي أبي بكر الصديق ﷺ الخلافة: كان التصدي للمرتدين أول مهمة قام بها أبو بكر ﷺ ، وكان في طليعة من تصدى للمرتدين: أهل القرآن الكريم؛ من الصحابة الكرام ﷺ ، ذلك أن أهل القرآن هم الطليعة والقدوة في كل شيء.

ففي معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب -وهي المعركة الفاصلة مع المرتدين- كان شعار الصحابة الكرام ﷺ : (يا أصحاب سورة البقرة! يا أهل القرآن! زينوا القرآن بالفعال).

وقد استشهد في هذه المعركة: ألف ومائتا شهيد ، كان منهم (٧٠) من قراء القرآن الكريم.

ولاحظ الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ خطورة استشهاد حفظة القرآن، لأن القرآن الكريم الأصل فيه: التَّلقي مشافهة عن رسول الله ﷺ؛ فقال للخليفة أبي بكر ﷺ : "إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشي أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن! وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن". رواه البخاري.

من هنا؛ كانت البداية لجمع القرآن الكريم في زمن الصديق ﷺ في مصحف واحد ، بين دفتين، مرتَّب السور.

وهو ما سنستعرض خطواته في النقاط التالية:

١- **اقتراح الفاروق ﷺ بجمع القرآن الكريم يدل على:** متانة وعمق المنهج الذي تعلمه الصحابة ﷺ من النبي ﷺ؛ بالأخذ بالأسباب نحو حمل أمانة القرآن والرسالة للبشرية جمعاء.

كما يدل على: عبقرية الفاروق ﷺ وبعد نظرته الاستراتيجية، وملكة الاجتهاد لديه.

وفي قبول أبي بكر ﷺ لاقتراح الفاروق نموذج مشرق لقبول الحاكم النصيحة المخلصة؛ ومن هنا جاء الأمر الإلهي للمؤمنين والمسلمين باتباع سبيل الصحابة الكرام ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[النساء، ١١٥]؛ وهل كان المؤمنون عند نزول هذه الآية الكريمة إلا الصحابة ﷺ؟

وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[البقرة، ١٣٧].

٢- لما اقتنع الخليفة أبو بكر برأي عمر ﷺ؛ استدعى زيد بن ثابت -أحد كتاب الوحي وأحد علماء الصحابة ﷺ-، وكلفه الخليفة بمهمة جمع القرآن، وقال له: "إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه".

وقد كان زيد ﷺ جاراً للنبي ﷺ، يستدعيه حين نزول الوحي ليكتبه، وقد وصف لنا زيد كيف كان يكتب القرآن للنبي ﷺ، فقال: "كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سُرِّي عنه.

فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرةٍ فأكتب وهو يملي علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآنِ! حتى أقول: لا

أمشي على رجلي أبداً، فإذا فرغت قال: «**اقرأْ**»؛ فأقرأه، فإن كان فيه سقطٌ أقامه ثم أخرج به إلى الناس".

ونلاحظ هنا: أن النبي ﷺ كان يراجع معه المكتوب (فإن كان فيه سقط أقامه)، لنعرف مقدار الدقة التي كتب بها القرآن منذ زمن النبي ﷺ.

٣- ما الذي قام به زيد بأمر الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؟

الذي قام به زيد رضي الله عنه أنه: جمع القرآن الكريم المكتوب في زمن النبي ﷺ بين دفتين في صحف متتابعة، مرتب السور، وفي مكان واحد؛ بعد أن كان مكتوباً مفرقاً على أشياء مختلفة (صحف، عظام، حجارة، جريد النخل...)، وفي أمكان متعددة.

قال الإمام البغوي في «شرح السنة»: "سعي الصحابة كان في جمعه -أي: القرآن- في موضع واحد؛ لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا، أنزله الله -تعالى- جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا".

٤- كيف نفذ زيد مهمة جمع القرآن؟

أولاً: قام الفاروق رضي الله عنه بالإعلان للناس عن إحضار ما لديهم من القرآن مكتوباً.

ثانياً: جلس زيد والفاروق رضي الله عنهما على باب المسجد يستقبلون ما يجيء به الصحابة رضي الله عنهم من القرآن.

ثالثاً: كان يطلب من كل من جاء بشيء من القرآن إحضار شاهدين على أنه كتب هذا بين يدي النبي ﷺ.

رابعاً: قام زيد ﷺ بكتابة القرآن من خلال مطابقة ما كتب من القرآن في زمن النبي ﷺ بما يحفظه الصحابة ﷺ في صدورهم من القرآن.

قال زيد ﷺ: "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف، وصدور الرجال؛ حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره"، أي: لم يجدها مكتوبة إلا عند أبي خزيمة، وإلا فزيد وغيره من الصحابة ﷺ يحفظ هذه الآيات، لكنه يريد: أن تكون الآيات محفوظة ومكتوبة، وذلك لزيادة التوثيق والاحتياط.

٥- كانت بداية مهمة جمع القرآن بعد معركة اليمامة، في نهاية السنة (١١) للهجرة، وانتهت قبل وفاة أبي بكر ﷺ في منتصف سنة (١٣) للهجرة.

٦- بعد كتابة القرآن وجمعه؛ سُلم لأبي بكر الصديق ﷺ، وبقي عنده حتى وفاته، ثم بقي عند عمر ﷺ حتى استشهد على يد أبي لؤلؤة المجوسي، فبقي عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر ﷺ.

ثم طلبها عثمان ﷺ **لينسخ منها نسخاً للأمصار** -سنفصلها لاحقاً-، وأعادها لحفصة ﷺ، فلما توفيت حفصة سنة (٤١) للهجرة، طلب أمير المدينة مروان بن الحكم هذه الصحف من عبد الله بن عمر ﷺ وأتلفها؛ حتى تجتمع كلمة المسلمين على المصاحف التي نسخت عن مصحف الصديق ﷺ ووزعت في البلاد بأمر عثمان ﷺ.

وبهذا؛ أصبح القرآن الكريم مكتوباً ومرتباً ومجموعاً في مكان واحد؛ وذلك وفق أعلى معايير الضبط والتوثيق، ومن خلال عمل جماعي

وعلمي وشفاف، أجمع الصحابة كافة ﷺ على دقته، وصحته، وسلامته من الزيادة أو النقصان؛ بفضل الله وتوفيقه لأصحاب رسول الله ﷺ، بعد وفاة النبي ﷺ بسنة واحدة فقط.

عهد عثمان بن عفان ذي النورين ﷺ

توفي أبو بكر الصديق ﷺ وقد جمع القرآن الكريم كاملاً في مصحف بين دفتين، وفي مكان واحد؛ بعد أن كان مجموعاً في عهد النبي ﷺ في صدور الصحابة ﷺ، ومكتوباً على مواد متنوعة، في أماكن متفرقة.

وأما في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ -وهو صاحب المبادرة في مشروع الأمة بجمع القرآن الكريم والمشارك فيه-؛ فقد كان طيلة خلافته -والتي استمرت عشر سنين- مهتماً بنشر القرآن، وتعليمه وتحفيظه للمسلمين، ففي «الطبقات الكبرى» لابن سعد: عن محمد بن كعب القرظي قال: "جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن صامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء ﷺ.

فلما كان زمن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعنّي يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم!

فدعا عمر أولئك الخمسة؛ فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم! إن أجبتم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخ كبير؛ لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم؛ لأبي بن كعب، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء.

فقال عمر: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن؛ فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم؛ فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين.

وقدموا حمص، فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات".

وجاء في ترجمة نافع بن ظريف بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف النوفلي، عند ابن حجر في كتابه «الإصابة»: أنه كتب المصحف لعمر، وروى أبو داود في كتابه «المصاحف»: أن عمر كان يُسر حين يرى مصحفاً عظيماً مع الناس.

ثم جاء عهد عثمان بن عفان ﷺ سنة (٢٣) للهجرة، فتوسعت الفتوحات، ودخل كثير من الأمم الأعجمية في الإسلام، ويكفي أن نعرف أن دولة الإسلام في عهد عثمان ﷺ وصلت الصين شرقاً، وتونس غرباً، وأرمينيا وأذربيجان شمالاً.

وانتشر بين هؤلاء الأقوام والأمم: معلمو القرآن الكريم من الجيل الثاني والثالث؛ من التابعين، وتابعي التابعين؛ الذين تتلمذوا على الصحابة الذين نشرهم الفاروق ﷺ في البلدان.

ومعلوم أن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف؛ تسهيلاً وتيسيراً على الأمة، وكان الصحابة ﷺ يقرأون بها.

ولكن بسبب حركة الفتوحات والجيوش كان يختلط أهل الشام وأهل العراق وأهل مصر، فتختلف قراءتهم للقرآن؛ بسبب عدم معرفتهم بنزول القرآن على سبعة أحرف، فتحدث مشاحنات ومشاجرات، وقد تنبه لخطورة هذا بعض الصحابة ﭫ منهم: حذيفة بن اليمان ﭬ؛ وهو الصحابي البصير بمعرفة الفتن القادمة على الأمة، وكان النبي ﷺ قد خصه بمعرفة أسماء المنافقين، كان حذيفة مع جيش أهل الشام في فتح أرمينية.

ثم ذهب لفتح أذربيجان مع أهل العراق في نهاية سنة (٢٤ هـ)، وكان معه سعيد بن العاص ﭬ، فقال له حذيفة: "أما لئن ترك الناس ليضلن القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً! قال: وما ذاك؟ قال: رأيت أمداد أهل الشام حين قدموا علينا، فرأيت أناساً من أهل حمص يزعمون لأناس من أهل الكوفة: أنهم أصوب قراءة منهم! وأن المقداد أخذها من رسول الله ﷺ، ويقول الكوفيون مثل ذلك، ورأيت من أهل دمشق قوماً يقولون لهؤلاء: نحن أصوب منكم قراءة، وقرآناً، ويقول هؤلاء لهم مثل ذلك".

ولما عاد حذيفة للكوفة؛ وجد الناس هناك -أيضاً- يختلفون في قراءة القرآن، بين قراءة عبد الله بن مسعود أو أبي موسى الأشعري أو المقداد أو سالم، فغضب حذيفة ﭬ وقال: والله لئن عشت حتى آتي أمير المؤمنين لأشكون إليه ذلك، ولأمرنه ولأشيرن عليه أن يحول بينهم وبين ذلك!".

وسافر حذيفة للمدينة لمقابلة عثمان الخليفة؛ وقال له: "يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".

ولعلاج هذه المشكلة شاور عثمان ﷺ الصحابة ﷺ في توحيد المصاحف في البلدان؛ باعتماد نسخة منقولة من مصحف الصديق ﷺ، وتكون بحرف قريش، لتجتمع كلمة المسلمين على مصحف واحد؛ بعد أن كثر غير العرب في المسلمين والذين لا يدركون لغات العرب والأحرف السبعة.

يقول الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ : "دعانا -عثمان- فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضكم يقول: قراءتي خير من قراءتك! وهذا يكاد يكون كفراً، وإنكم إن اختلفتم اليوم كان لمن بعدكم أشد اختلافاً.

قلنا: فما ترى؟ قال: أن أجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت".

ولتنفيذ هذا القرار قام عثمان ﷺ بما يلي:

١- **أرسل عثمان ﷺ إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر ﷺ :** أن ترسل له مصحف الصديق لينسخ منه مصاحف للبلاد، ثم يعيده لها، وفعلاً أعاده لها.

٢- **شكل لجنة من كل من:** زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ؛ لنسخ المصاحف، وقد شاور عثمان ﷺ الصحابة ﷺ في ذلك، فقرروا أن

يملِ سعيد بن العاص ﷺ؛ لكونه أعرب الناس، وأن يكتب زيد ﷺ؛ لكونه أكتبهم.

٣- **وزيادة في الاحتياط:** تم مقارنة ما كتبه زيد ﷺ من مصحف الصديق ﷺ بما هو مكتوب عند الصحابة ﷺ، فكان مطابقاً، وأيضاً كان يتم مراجعة ما كتب زيد ﷺ؛ حذراً من السهو، أو الخطأ، أو النقص.

٤- **وقد حدد عثمان ﷺ المنهج العلمي لكتابة المصحف؛** فقال لأعضاء اللجنة القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن؛ فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا".

ومثال ذلك: اختلاف اللجنة في طريقة كتابة كلمة ﴿التَّابُوتُ﴾، هل يكتب بتاء مفتوحة، أو مربوطة؟ فرفع الأمر لعثمان ﷺ؛ فأمر بكتابتها على لسان قريش: بالتاء المفتوحة، وعثمان أصلاً من كتبة الوحي في زمن النبي ﷺ.

٥- **وكان عثمان ﷺ يستشير كبار الصحابة من كتبة الوحي ﷺ** في مواضع اختلاف اللجنة في كتابة بعض الكلمات؛ فقد أرسل عثمان لأبي بن كعب ﷺ بكتف شاة فيها: (لم يتسن)، وفيها: (لا تبديل للخلق)، وفيها: (فأمهل الكافرين)، يستشيره في الكتابة الصحيحة لها.

فقام أبي بن كعب ﷺ فمحا إحدى اللامين، وكتب ﴿لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، ومحا (فأمهل)، وكتب ﴿فَمَهِّلِ﴾، وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، ألحق فيها الهاء.

٦- **بعد نسخ مصحف الصديق ﷺ من قبل اللجنة**، يبدو تم الاستعانة ببعض الصحابة الأخرين لنسخ عدة نسخ من المصاحف لتسريع العمل، ثم أرسلت نسخة للبصرة والكوفة والشام ومكة واليمن والبحرين، ومصحف بقي عند عثمان ﷺ بالمدينة، ومع كل نسخة مقرئ، لأن التلقي الشفوي هو الأساس في تعلم القرآن الكريم؛ كحال النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام.

٧- **أمر عثمان ﷺ بجمع وإحراق أي نسخة من المصحف بخلاف هذه التي أرسلها**؛ حتى ينتهي الخلاف، وتتوحد كلمة المسلمين على مصحف إمام جامع.

٨- **وقد أجمع الصحابة ﷺ على صواب فعل عثمان ﷺ من جمع الناس على مصحف واحد، وتحريق ما عداه**، ويكفي في هذا قول الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب ﷺ: "اتقوا الله في عثمان! ولا تغلوا فيه، ولا تقولوا: حراق المصاحف!! فوالله ما فعل إلا عن ملأ منا أصحاب محمد... رحم الله عثمان، لو وليته؛ لفعلت ما فعل في المصاحف".

وقد بقيت هذه المصاحف التي أرسلها عثمان ﷺ عند المسلمين يعظمونها، ويتوارثونها؛ فمصحف الشام بقي عند بني أمية مدة خلافتهم، ثم أرسل لعبد الرحمن بن معاوية -المعروف بعبد الرحمن الداخل، أو صقر قريش- في الأندلس، فأوقفه على جامع قرطبة، وكان يقرأ الإمام منه يوميّاً بعد صلاة الفجر، وبقي هناك حتى سنة (٥٥٢ هـ)؛ حيث دخل الغزاة الجامع بدوابهم، ومزقوا المصحف، وجمعت صفحاته بجهد، ثم نقل لمراكش في المغرب على يد مؤسس دولة الموحدين، ويذكر بعض العلماء أنه شاهد المصحف المكي سنة (٦٥٧ هـ).

وهكذا توحدت الأمة الإسلامية على مصحف واحد عبر تاريخها الطويل، مصحف كتب في زمن النبي ﷺ، وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على دقته وسلامته من النقص والزيادة، وتم توثيق آياته من خلال عمل علمي موضوعي شفاف، قام على حفظ العدول الثقات، مع مطابقته لما كتبه كتبة الوحي في حياة النبي ﷺ.

وهذا الجهد العلمي قد شهد له المنصفون من غير المسلمين؛ فهذا أحد المستشرقين يقول: "إن القرآن -يقصد: المصحف المعاصر- إذا جرد من الشكل والتنقيط وبعض التعليقات عند أول سورة من كونها مكية أو مدنية، ومن ذكر عدد آياتها: يكون تماماً هو القرآن الذي أنزل على النبي -ﷺ-".

ولا تزال الأمة الإسلامية تتعاهد حفظ القرآن الكريم وجمعه في صدورها، بالأسانيد المتصلة للنبي ﷺ، وبالصحف المكتوبة عن المصحف الأول، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر، ٩].

من تاريخ المصحف الشريف

بعد أن تعرفنا على قصة جمع القرآن الكريم؛ تعالوا نتعرف على محطات رئيسية في مسيرة المصاحف وكتابتها، ثم تقسيم المصاحف إلى أجزاء وأحزاب، ومن ثم معالم تاريخ طباعة المصحف الشريف.

علِمْنا.. أن الصديق رضي الله عنه **جمع القرآن الكريم في مصحف** بعد أن استشهد كثير من حفظة القرآن الكريم في المعارك مع المرتدين.

وأن الفاروق رضي الله عنه أرسل للأمصار معلمين للقرآن من كبار حفظة الصحابة.

وأن عثمان رضي الله عنه وحَّد المصاحف في البلاد الإسلامية بالنسخ عن مصحف الصديق.

وبقي الأمر كذلك حتى كثرت الفتوحات، ودخلت أمم وشعوب كثيرة في الإسلام، وضعفت السليقة العربية بين الناس؛ بسبب هذا الاختلاط الرهيب بين العرب والشعوب غير العربية، ولكن لحاجة الجميع للغة العربية؛ وخاصة لقراءة القرآن، ولكون المصاحف مكتوبة بغير نقاط أو تشكيل؛ رغم تشابه بعض الحروف كانت العربية تكتب بدون نقط كما تثبت النقوش الحجرية قبل الإسلام، لأن العرب كانت لا تحتاج هذه الإضافات؛ لقلة ما يكتبون، ولسليقتهم وفصاحتهم التي تغنيهم عن الحاجة لذلك.

من هنا أصبح من الضروري علاج هذه المشكلة؛ حتى لا يخطئ المسلمون الجدد في قراءة الحروف المتشابهة، أو يلحنوا في أداء الكلمات على الوجه الصحيح؛ فتتحرف المعاني!

وأصبح بعض المسلمين الجدد يخطئ أخطاء فاحشة في قراءة القرآن! وقد قام العلماء بوضع (علم النحو) من أجل التسهيل على المسلمين الجدد إتقان العربية، كما عملوا على تطوير اللغة العربية من ناحية شكل الحروف والإملاء، وهنا أصبح عندنا تباين بين الرسم العثماني في المصاحف، وما تم تطويره من الإملاء والنحو، ولأن الأمة أجمعت على عدم تبديل الرسم العثماني للمصاحف وحرمة ذلك؛ أصبح هناك تحدٍ يواجه المجتمع الإسلامي وهو: كيفية المحافظة على الرسم العثماني، وكيفية تيسير قراءته بشكل سليم للأجيال القادمة.

ولحل هذه المشكلة قام أبو الأسود الدؤلي (توفي ٦٩ هـ) -وهو أحد العلماء والشعراء ورجالات الدولة في البصرة- بوضع نقاط على الحروف تحدد طريقة نطقها؛ حيث اختار كاتباً ذكيّاً من بين ثلاثين كاتباً، وأمره بإحضار حبر (مداد) بلون مختلف عن لون حبر المصحف، وقد كانوا يعتنون بكتابة المصاحف بخطوط جميلة، وغالباً ما كانت هذه النقاط تلون باللون الأحمر، وتكون دائرة صغيرة كما في بعض مخطوطات المصاحف القديمة، ثم أمره أن يراقب حركة شفتيه أثناء قراءة القرآن، فإذا فتح أبو الأسود شفتيه يضع نقطة فوق الحرف، وإذا ضم شفتيه يضع نقطة بجانب الحرف، وإذا كسر الحرف فيجعل النقطة تحت الحرف، وإذا اتبع ذلك بغنة يضع نقطتين.

وبهذا تم وضع مصحف كامل منقط، وهنا يجب أن نتنبه إلى مركزية التلقي الشفوي للقرآن الكريم، وأنه هو الأصل؛ وليس الكتابة.

وهذا التنقيط كان للحرف الأخير في الكلمة، لكونه أول ما وقع فيه الخلل في كلام الناس، لكن هذه نقاط حركات للحروف، وليست النقاط التي نعرفها اليوم لتمييز الحروف من بعضها البعض؛ والتي تسمى: (الإعجام)، وهذه حقيقة مفهوم تنقيط أبي الأسود الدؤلي للمصاحف.

كانت طريقة الدؤلي هذه أول محاولة لتمييز حركات الأحرف، وبسبب طبيعة الزمان، وعدم توفر وسائل التواصل السريعة، والنسخ اليدوي؛ قلَّد البعض طريقة الدؤلي لكن بتغيير مواضع وضع النقاط؛ ففي مكة -مثلاً- كان يضعون نقطة الفتحة قبل الحرف، ونقطة الضمة فوق الحرف.

وبقيت طريقة الدؤلي سائدة مع ما فيها من مشقة؛ بسبب استخدام نوعين من الحبر في الكتابة، حتى تطورت هذه النقاط لتأخذ شكلها الحالي الذي نعرفه على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي ١٧٠ هـ) -صاحب علم العروض-؛ الذي حوَّل هذه النقاط إلى صورة مصغرة من الأحرف، فجعل الفتحة ألفاً صغيرة، لكنها منبطحة فوق الحرف، والضمة واواً صغيرة، والكسرة ياء صغيرة تحت الحرف، ثم اقتصر على جزء من الياء، فأصبحت أشبه بالفتحة تحت الحرف.

وسميت هذه الرموز بالشكل المستطيل، وأصبح نسخ المصاحف أسهل؛ لعدم الحاجة للونين من الحبر، وأسهل في القراءة؛ حيث لكل حركة رمز خاص بها وليست شكلاً واحدة (نقطة) يختلف موضعها.

وبهذا أصبحت للأحرف العربية رموز إضافية توضح طريقة أدائها، وأصبحت تعرف بالتشكيل، ثم توسعت هذه الرموز فظهرت علامة

السكون، وعلامة المد، وهكذا، وقد كان استخدام هذه الرموز في البداية في ما كُتب من الشعر، ولذلك سمي: (شكل الشعر) ثم استخدم في نسخ المصاحف، وأصبح هو السائد.

ثم جاءت مرحلة تمييز الأحرف المتشابهة عن بعضها البعض؛ حيث تشترك عدة أصوات مختلفة في شكل واحد، ففي زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (توفي ٨٦ هـ) قام بعض تلاميذ الدؤلي بوضع نقط للأحرف للتمييز بينها، وهذه النقاط كانت تكتب بنفس لون الحبر.

وقد تطور وضع النقاط للحروف حتى استقر على شكلها المعروف اليوم، فمثلاً:

كانت الفاء والقاف والنون والياء تنقط إذا كانت موصولة بحرف، أما إذا كانت مفصولة فلا تنقط؛ لأنها لا تشتبه على القارئ! وكانت الشين عند بعضهم لها نقطة واحدة فقط، والقاف نقطة من تحت، وهو ما يزال معمولاً به لليوم في المصاحف المغربية.

وقد كانت الكاف لا تعرف إلا بشكلها بالخط الكوفي، ولما تم تطوير الخطوط العربية وأصبح حجم الكاف قريباً من حجم اللام؛ وضع لها علامة تشبه الكاف الصغيرة لتتميز عن اللام إذا كانت في نهاية الكلمة، ووضع لها شكلة في أعلاها إذا كانت في بداية أو وسط الكلمة، كما قام بعضهم باستخدام خطوط صغيرة بدلاً من النقاط، ولكن هذه الطريقة اندثرت، وسميت هذه النقاط بالإعجام.

ثم جاء وضع علامة خاصة للهمزات، والسكون، والتشديد، والمد، وقد مرت علامة الهمزة (ء) بتقلبات كثيرة حتى استقرت على هذا الشكل.

بتنقيط المصاحف ثم استخدام علامات التشكيل وإعجام الأحرف بالنقاط؛ تم المحافظة على الرسم العثماني كما هو، وتم تسهيل قراءة القرآن على الوجه الصحيح.

وننتقل لجهود العلماء في تسهيل قراءة المسلم والمسلمة لوِردهما وحزبهما اليومي من القرآن الكريم، لأن القرآن جاء ليقرأ ويعمل به في كل وقت، وفي كل شيء، فروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من نام عن حزبه أو شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتب له كأنه قرأه من الليل**»، وكان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يحزبون القرآن بالسور سبعة أحزاب، فيختمونه في كل أسبوع.

ولذلك اهتم العلماء من زمن الحجاج بعدِّ أحرف وكلمات القرآن الكريم باستخدام حبات الشعير، ومكثوا أربعة أشهر في ذلك، فبلغت كلماته: سبعة وسبعين ألف كلمة وأربع مئة وتسعاً وثلاثين كلمة (٧٧,٤٣٩)، وعدد حروفه: ثلاث مئة ألف وثلاثة وعشرين ألفاً، وخمسة عشر حرفاً (٣٢٣٠١٥)، أما عدد آياته فهو: ستة آلاف ومئتان وست وثلاثون آية (٦٢٣٦)، ومعلوم أنه (١١٤) سورة.

ووصل بعض العلماء إلى أرقام أخرى بفروقات قليلة، وسبب ذلك منهج العد؛ هل الحرف المشدد يحسب حرفاً أو حرفين، وهل نعد المكتوب أو المنطوق بالنسبة للحروف، أما الكلمات فهل حرف (عن، في، ..) يعد كلمة أم لا؟

وبناء على ذلك؛ تم تقسيم القرآن إلى أجزاء وأحزاب وأرباع، ومر ذلك بعدة أطوار لكنه استقر على تقسيمه كما يلي:

* **تقسيمه إلى ثلاثين جزءاً**؛ ليقرأ في كل شهر مرة، وكان تحديد بدايات الأجزاء بحسب عدد الحروف، ولذلك نجد أن أجزاء القرآن متساوية في المقدار؛ سواء في عدد الصفحات في المصحف، أو في الوقت اللازم لقراءة أي جزء، وتكاد تكون متساوية تماماً.

* **ثم تقسيم كل جزء إلى حزبين، وكل حزب إلى أربعة أرباع**، واعتمدوا في تقسيم هذه الأحزاب على عدد الكلمات، ولأن عدد أحرف الكلمات متباين تباين مقدار الحزب والربع.

والهدف من تحزيب القرآن الكريم: تسهيل عملية الحفظ؛ ولذلك قام بعض العلماء بتحزيب القرآن إلى (٣٦٠) حزباً، ليتمكن المسلم من حفظ القرآن الكريم في سنة واحدة.

وننتقل الآن إلى تاريخ طباعة المصحف؛ والتي ساهمت في توحيد شكل المصحف وحجمه، بعد أن كان مختلف الحجم والخط بسبب النسخ اليدوي.

معلوم أن اختراع آلات الطباعة كان في أوربا سنة (١٤٣١م)، وهو العهد الذي كان فيه الاستشراق الأوربي في عنفوانه، وكانوا هم أول من طبع كتباً بالعربية، وبحسب «موسوعة المستشرقين» للدكتور عبد الرحمن بدوي؛ فأول مطبعة عربية كانت في روما سنة (١٥٨٦م)، وأول كتاب طبعته هو: كتاب «القانون» لابن سينا، في الطب، وأنجز سنة (١٥٩٣م)، وفي أثناء طباعة كتاب «القانون» تم طباعة بعض الكتب العربية الصغيرة والإنجيل، وتعاون السلطان مراد الثالث مع المطبعة لطباعة كتاب «تحرير أصول أوقليدس»، لكن كانت طباعتها رديئة؛ فتوقفت من سنة (١٥٩٣م) إلى سنة (١٦٤٠م).

لكن طباعة القرآن بدأت بطباعة بعض سور القرآن مثل: سورة يوسف سنة (١٦١٧م)، ثم بعض السور في أمستردام سنة (١٦٤٦)، وغيرها، لكن أول طبعة للقرآن الكريم كاملاً كانت في سنة (١٦٩٤م) في ألمانيا.

لكن د. بدوى يقول: إن هناك مصادر أوربية تشير إلى أن القرآن طبع كاملاً في مدينة البندقية سنة (١٥٣٠م)، لكن أحرقت جميع النسخ ولا أثر لها!

ثم توالت الطبعات، وطباعة فهارس للقرآن الكريم، وتراجم للقرآن، لكن هذه الطباعة كانت مليئة بالأخطاء؛ حيث تجد كلمة مكان كلمة أخرى، أو وصل الحروف بما لا ينبغي أن توصل؛ وهذا بسبب ضعف المشرف بالعربية، وقلة الخبرة والمراجعة.

وينقل د. صبحي الصالح عن المستشرق بلاشير: أن أول طبعة إسلامية للمصحف كانت في سانت بترسبورغ بروسيا، سنة (١٧٨٧م)، قام بها مولاي عثمان، وبعدها تتابعت طباعة المصحف الشريف، وكانت مختلفة الحجم والخط؛ بحسب حروف كل مطبعة، ولم تكن تلتزم بالرسم العثماني، مما استنكره العلماء.

وفي عام (١٣٠٨هـ) قام الشيخ المقرئ أبو عيد رضوان بن محمد المخللاتي بكتابة نسخة متقنة من المصحف وطباعتها في القاهرة، وأصبحت مرجع طبعات المصاحف في العصر الحديث؛ بسبب تخصصه في علوم القرآن الكريم، ومباشرته نسخ المصحف بنفسه بدلاً من الخطاطين الذين يجهلون أحكام كتابة المصاحف التي نص عليها العلماء.

ولكن مع إنشاء «مجمع الملك فهد للمصاحف» في المدينة المنورة سنة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م)، تم نسخ مصحف خاص من قبل الخطاط الكبير عثمان طه، بإشراف ثلة من العلماء، وأصبح هناك مصحف موحد -تقريباً- في غالب أنحاء العالم؛ حيث صدرت ملايين النسخ من مصحف المدينة.

والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين

فهرس المواضيع

تمهيد..... ٢

قصة جمع القرآن الكريم مرت بثلاث مراحل زمنية..... ٣

- العهد النبوي..... ٤

- عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه..... ٨

- عهد عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه..... ١٣

من تاريخ المصحف الشريف..... ٢٠